

## في بحث الأصول الاجتماعية لظاهرة الإرهاب

هيام الجبوري/ باحثة أكاديمية

تنتهي اغلب الحقائق السوسيولوجية الى ان المجتمع الذكوري: بكل أشكاله مضطر لان يعمل أو يشتغل بنصف طاقته وقدرته طالما هو يبعد ويهمش المرأة الى هذا الحد، وهذا تحديدا ما يحدث اليوم- في المجتمع العراقي من مظاهر تغييب وتهميش متعمد لدور المرأة العراقية..

لكن التحليل السوسيولوجي المعاصر لا يقف أو ينتهي عند هذا البديهية إنما تمكن من ان ينفذ إلى قلب هذا النمط من المجتمعات (احادية الجنس) والى قلب الحقيقة مشيرا و متلمسا للجوهر الذي يعتمل في داخلها " ان نمط المجتمعات الذكورية لا يجهل انه بتهميشه دور المرأة وتغييبها كليا قد يفقده نصف قدرته وعافيته، لتضطرب فيه -وفقا لفلسفة هيغل - معادلة الوجود الانساني الجميل. في توازنه.. إذ ان ثمة علاقة جدلية تجمع المجتمع الذكوري بل تملي عليه ارادة تغييبه للاخر - المرأة- ثم اقاتتها من الحياة وتجريدها من حقها في الوجود الإنساني وهذا هو تماما الفهم الجدلي او هو جدلية العلاقة بين القهر الاجتماعي للمرأة في ثقافة العنف " بأشكاله المختلفة " التي تسود المجتمع الذكوري وتقض مضجعه. . وعلينا ان نيقن ان دون هذا ليس ثمة مجتمع ذكوري من غير ممارسة جدية للقهر، كما ان ليس ثمة ثقافة للعنف في مجتمع تسود فيه المرأة كموجود حقيقي وثقل اجتماعي - سياسي تقاسم فيه الرجل معادلة الوجود باعتبارها طرفا اساسيا وليس غير في انتاج ثقافة وحضارة متجانسة ومتعادلة..

هذه "العلاقة الديالكتيكية بين تغييب المرأة وانتاج الاخر -المضطهد- بالكسر " لثقافة القهر". . تعتبر حتمية سوسيولوجية ولا يمكننا ان نتصور حل هذه العلاقة "المضطربة " او اصلاحها من غير تفجير المجتمع الذكوري - بلغة الشارع العراقي اليوم - وتصفيته كلياً وبدأ التأسيس لمجتمع اكثر انسانية واقل عنف. .

كما يرصد التحليل السوسيولوجي المعاصر ذات النمط من العلاقة المنقوصة في النظم الشمولية ذات السمة الدكتاتورية في تغييبها - الجمهور او الشعب \_ الاخر المضطهد - بالفتح - فحيث تزداد هذه الانظمة استبداد. . تفقد بمرور الزمن قدرتها على البقاء والمقاومة. . لتسقط فيما بعد ان لم تشرك الاخر وتعيد له حقه في الوجود. .

ومن جديد فان هذه العلاقة المضطربة التي تلف عصا الجلد عند الدكتاتور وطاعة الشعب المقهور او بمفهوم اخر التي تلف " الحاكم بالمحكوم، والقاهر بالمقهور " وهو هنا الشعب "تنتهي عند نفس المصير.

ولا يمكننا ان نتصور ايضا غير هذه العلاقة والا اتجهت النظم الشمولية وتحولت الى ديمقراطية: اذا لا وجود للدكتاتور خارج الشعب المقهور ولا وجود لممارسة القهر - مع الاخر في النظم الديمقراطية. . والنتيجة في التحليل الاخير تشير الى ان قوة الاخر وقسوة المجتمع الذكوري هي الوجه الاخر لضعفا - كمجتمع انثوي - في مواجهة اغتصاب الرجل للسلطة الاجتماعية \_ كحق جمعي مشترك - وبالتالي تشريعها دينيا وترسيمها قانونياً. .

ما دفع بالجابري الى القول ان مشكلة المجتمع العربي اليوم برمته تكمن في ان " الفعل السياسي العربي مسكون ببنية المماثلة بين الاله والامير " ( محمد الجابري: العقل السياسي العربي، ص352 )

ويصل هذا التحليل في النهاية الى ان قسوة الاخر – مازوخية المجتمع الذكوري ليست بعد التحليل – الا سادية العنصر والبناء في المجتمع الانثوي.

غيران هذا لا ينفي تأريخية القهر الاجتماعي من قبل الرجل للمرأة وجذورها في الماضي كما لا ينبغي ان نبطل الأثر الاقتصادي – التاريخي الذي فجر هذا الانقلاب في حدود المعادلة الاجتماعية في زمن ما. . كما يؤكد فريدرك انجلز ذلك في مؤلفه عن: اصل العائلة والملكية الخاصة. او ما تؤكده الدكتوراه سلوى الخماش او الدكتوراة نوال السعداوي في جميع كتاباتهن..

واخيرا. .. جل ما يرى هذا البحث المتواضع ويؤكد فيه وعليه هو: ان ظاهرة العنف والعنف السياسي وظاهرة الارهاب هي نتاج مجتمع جنساني – احادي – يمارس القهر والقسوة والمصادرة وكل ضروب القهر الاجتماعي في علاقه وبناءه مع الطرف الاخر: المقهور. ...

في حياة كل مجتمع انساني، لحظة تاريخية تتحول فيها حياة هذا المجتمع او تعاني انعطافة تاريخية تتفاعل فيها الاحداث مع الانساق الزمكانية و الاجتماعية مع الانسان والنتيجة كما هو معتاد طرح قضية ما تصل الى المقدمة بعد ما تتسلق وبخطو حذر لها على هرم القضايا الاجتماعية المتصارعة. . خطو يجعل منها قضية ملحة، ساخنة او تسأل غريب يبحث عن ذاته في غمرة انشغال الجميع عن قضاياهم الفردية وهمومهم الصغيرة. . في المقدمة

ثمة قضية ساخنة تنثى بمعزل عن الجميع مثلما تنثى بالجميع عن ذواتهم لتفعل من غير ارادة مقصودة فعل الجمع والتوحيد غير المعلن بين الاخوة الاعداء وبين المختلف والمتناقض من افكار افراد المجتمع الواحد. .

قبل عام واحد فقط كانت هذه –القضية المركزية– تتراوح في العراق بين قسوة الحرب، ولعنة الدكتاتورية ثم في بداية الالفية الجديدة صارت القضية المركزية الجديدة ملتبسة في العولة بعدها شبح الحرب والبحث عن افق ما لحياة افضل في المنفى خارج العراق..

اما بعد الحرب وسقوط التمثال – الصنم – ذابت كل القضايا التي علقت ردحا طيلاً ن الزمن في ذاكرتنا ومخيلتنا الجمعية.. لتقفز الى مقدمة لقضايا: ظاهرة الارهاب..

هذه الظاهرة ذات الملابس والتعقيد والتفاصيل الكثرة والاشكال المختلفة لتصبح شغل الجميع الشاغل..

## في بحث الأصول الاجتماعية لظاهرة الإرهاب

والحقيقة ان هذه الظاهرة اذا ما نظرنا اليها على انها تجسيد لعلاقة الغالب بالمغلوب وجدلية هذه العلاقة وتحولاتها وتجلياتها فهي جزء لا يتجزء من قضايا المرآة ولو في جانب كبير منها ليس لشيء ما الا لان ظاهرة الارهاب هي –من جهة ما –الوجه العار القبيح لاستكمال الحضارة الذكورية دورتها الطبيعية نحو الفناء في حياة المجتمع لانساني المتخلف بشكل عام و المجتمع العراقي بشكل خاص.. كما الحرب، كما الدكتاتورية، والعنف: كل هذه الظواهر في التحليل الاخير: هي تعبيرات سائدة لحضارة او لمجتمع ذكوري رهيب يستند الى علاقة شاذة – مجنونة – مع الاخر يحتكر فيها الطرف الغالب انسانية – ويمتهن ادمية الطرف المغلوب " المقهور" في معادلة الصراع الاجتماعي برمتها .....

ظاهرة الإرهاب:

تؤكد الدراسات الاجتماعية والسياسية ان ظاهرة الإرهاب في تركيبها العام المعقد لا تخرج في مفاهيمها الأساسية عن أيديولوجية مجنونة و شخصية هستيرية مضطربة.. و

هزيمة ساحقة تلحق صدعاً موجعاً بكل أشكال البناء الإنساني \_النفسي\_ الاجتماعي والسياسي ... والعراق نموذج واضح جدا..

وعبر أربعين عاماً من عنف وإرهاب الدولة مع المواطن " الإنسان العراقي يمكننا ان نلحظ تداخلاً عضوياً بين البنى الفوقية والتحتية للمجتمع العراقي المعاصر وبالتالي تجذر في صلب الشخصية العراقية بوعي او بلا وعي برغبة الإنسان او رُغماً عنه. "

ليعبر عنها في اللهجة اليومية او في الحوار اليومي مثل: ( اكتلك، ادمرك، اضيعك، ابهذلك، العن والديك) وغيرها من كلمات نستخدمها كثيراً " دون وعي " في توجيه اطفالنا او في خلافاتنا العادية ثم في كلمات الرجل التي تصف الجمال مثل: (رهيب، فضيع، مربع، قاتل ) وفي مراجعات مختلفة لاشكالية اللغة "البذيئة " او حتى السلوك اليومي في الشارع العراقي.. هنالك الشيء الكثير في المجتمع العراقي ما يدعم مزاعمنا في وجود بنية ارهابية على صعيد اللغة في الاقل تسربت اليها من تجربة الصراع المرير مع السلطة السياسية الفاشستية ثم تم اعتمادها من قبل السلطة الاجتماعية اثر فشلها في مواجهاتها مع نظام سياسي مارس القهر والابادة بشكل لا نضير له في العالم بأسره. .

" فما هو الإرهاب ...؟

وهل اصبح جزءاً عضوياً في مركب بنية المجتمع العراقي؟

ظاهرة طارئة عليه غير معبره عن الجوهر الاجتماعي؟ " (1)

وسنتناول اولاً المفاهيم المتعلقة والمرتبطة والمؤدية الى الارهاب فلاشك في أن مفهوم الارهاب مرتبط ومتداخل مع اشكال العنف والتطرف والتعصب بأشكاله المختلفة وهو مرتبط ايضاً وبعلاقة وثيقة مع النظريات الدكتاتورية

والفاشستية المعروفة للجميع وما تفرع عنها ...

## في تعريف الإرهاب :

ويفترض تعريف شاملاً للإرهاب مسبقاً تحديدهم مجموع من العناصر المؤدية إليه والفاعلة فيه متمثلة في التعصب: fanaticism. او الانغلاق على مبادئ بعينها و عدم قبول الحق عند ظهور الدليل بناء على ميل إلى جهة أو طرف أو جماعة أو مذهب أو فكر سياسي أو طائفة وهو سلوك خطير قد ينحدر نحو الأسوأ ثم يؤدي الى الفعل الإرهابي أما العنصر الآخر فهو التطرف extreme: ويعني الشدة أو الإفراط في شيء أوفي موقف معين , وحين يقال إجراء متطرف يعني ذلك الإجراء الذي يكون إلى ابعده حد , والشخص متطرف حين يبالغ فكرة أوفي موقف معين دون تسامح أو مرونة , والمتطرف في اللغة من تجاوز حد الاعتدال. فإذا اقترن التطرف بالعنف و الأعمال الفعلية الإجرامية التي تفرع الناس وتهدد الأمن و الأشخاص المدنيين وتقلق أمن المجتمع أصبحت من الأعمال الإرهابية لأنه اصبح يثير الفزع والخوف والرعب وهو أقصى درجات اليأس و القسوة المدمرة... **لذلك فان التطرف هو المغالاة السياسية أو الدينية أو المذهبية أو الفكرية** وهو أسلوب خطير ومدمر للفرد و للجماعة وللكيان المجتمع برمته ورغم حجم تأثير عاملي \_التطرف والتعصب\_ الا ان عامل العنف: violence: يمارس التأثير الاكبر في تشكيل الظاهرة بأعتبره استخدام غير مشروع للقوة المادية \_ بأساليب متعددة للاحاق الأذى بالأشخاص والأضرار بالمتلكات وهو في الواقع الاجتماعي قد يكون استخداماً فعلياً للقوة او تهديداً باستخدامها كما عرفه ارنست فان دين: بأنه استخدام للقوى المادية الهدف منه تحدي السلطة ويصبح العنف سياسياً اذا كانت الاهداف والدوافع سياسية. .ويعد العنف من العناصر الاساسية للفعل الارهابي بينما يعد الارهاب في اغلب احواله شكلاً مغالياً ومنظماً للعنف السياسي... وفق تمثله في نماذج من المعادلات التصورية التي تفضي في تفاعلها الى فعل الارهابي:

” تطرف + التعصب + أيديولوجية فاشستية = بيئة إرهابية فعالة

تطرف + تدهور اقتصادي + جهل " وانحطاط ثقافي" + تفكك اجتماعي = محفزاً للإرهاب

العنف + (بيئة ارهابية فعالة) + محفزاً للإرهاب + (مراحل انتقالية وتحول سياسي اجتماعي) = فعل إرهابي "

(2)

## تعريف الإرهاب

الإرهاب terrorism من \_الرغبة\_ أو الخوف أو التخويف وإشاعة عدم الاطمئنان وبث الرعب Fright والفرع Terror لتحقيق أهداف أيديولوجية أو سياسية او منظماتية ضيقة الافق ومفلسة وإجرامية , ويشار الى أن العنف الذي يمارس ضد الإنسان وحقوقه الأساسية هو إرهاباً أياً كان مصدره أو القائم به. والإرهاب شكلاً من السلوك الرمزي الذي يقوم على اساس الاستخدام المنظم للعنف أو التهديد بأستخدامه بشكل يترتب عليه خلق حالة نفسية من الخوف والرغبة وعدم الشعور بالامان لدى المستهدفين وذلك لتحقيق اهداف سياسية لا مشروعة وإذا كان سلوكاً رمزياً في بناءه وأشكاله فلأنه لا يستند الى استهداف الضحية في ذاتها وحسب انما النظام السياسي او الجماعة او الدولة التي تنتمي اليها وبلغة اخرى يمكن القول انه رسالة موجهه الى الاخرين احداث اثر نفسي سلبي في حالة من الخوف والقلق والرعب والتوتر لدى المستهدفين حيث يمكن التأثير على توجهاتهم وسياستهم وسلوكهم ...

أن مفهوم الإرهاب مفهوماً نسبياً وحديثاً يختلف من مكان إلى آخر ومن باحث إلى آخر ومن تحليل إلى آخر وحسب الظروف المتغيرة رغم وجود بعض القواسم المشتركة كما ان أبعاد الإرهاب كثيرة ومن الصعب أن نحدد مفهوم موحداً للإرهاب أو للجريمة السياسية أو للعنف السياسي. فرأينا تسليط الضوء على ابعاده الاجتماعية و السياسية

والأيديولوجية وجل اهتمامنا ظل لصيقاً بجذوره الكامنة في ذات الأنظمة السياسية والاجتماعية وما يطلق عليها اليوم بالدول الراعية للإرهاب. . ولا يمكن ان نبقي تصورنا مشدوداً الى الفعل او اشكال الفعل الارهابي وعدد الضحايا وجنسياتهم أو اثر ذاك الفعل في مستقبل الخارطة السياسية في العراق ... انما الضرورة تكمن في العمل على تحليل قاعدته و أساسياته وأشكاله وجذوره فليس بالامكان فهم حقيقة الافعال والجرائم الارهابية في العراق اليوم \_ مثلاً دون معرفة جاده بتاريخ تلك الجرائم وتحديد سلوك النظام السياسي السابق وملابساته وحقائقه او بنيته المخبراتية والاستخباراتية او حتى أجهزته الأمنية الأخرى " الخاصة " او ممارساته القمعية الأخرى او سياسة الاغتيال والابادة التي اتبعها في العراق من شماله الى جنوبه او اسلوب التصفية الجسدية المنظمة او اسقاط الجنسية او الجرائم الأخرى. . يجب ان يؤخذ كل ذلك بنظر الاعتبار في التعامل مع ظاهرة الارهاب بأشكالها المختلفة. . والا فأننا كما يرى " جان بودريار " في تحليله لذهنية الارهاب سنعتمد تفسيراً خاطئاً للإرهاب بوصفه منطقاً تدميراً بحتاً (ذهنية الارهاب: جاك دريدا، ص 38)

و الاستراتيجية العربية لمكافحة الارهاب التي اقرها مجلس الوزراء العرب في دورته الرابعة عشر في تونس في 1997/1/5 حدد الإرهاب على انه الجرائم الإرهابية التي ترتكبها حركات ومنظمات ارهابية، تمويل وتوجه اغلبها دول او مجموعات سياسية تضمم الشر لدول او مجموعات اخرى وتستهدف الإخلال بأمنها وسلامتها، باثارة الذعر والرعب فيها، والمنظمات الإرهابية تتكون غالباً من مواطني الدول الموجهة وعملاء لها من مواطني الدول المستهدفة و احياناً ينظم اليها محترفو إرهاب من مواطني الدول الأخرى. كذلك تعمد المنظمات الإرهابية الى اختطاف الاشخاص وحجز الرهائن واغتيال الشخصيات القيادية والمسؤولين ويستخدم الارهابيون في عملياتهم الإجرامية احدث الوسائل المعتمدة على معطيات العالم الحديثة والتقنية المتقدمة كالأجهزة الالكترونية

والشحنات المتفجرة والقنابل البلاستيكية والصواريخ والطرود والرسائل الملقحة ووسائل أخرى... وهذا بالتحديد ما يجعل من الارهاب ظاهرة معقدة من ظواهر الاضطراب السياسي في العصر الحديث لها علاقاتها وتفاعلاتها وابعادها السياسية والاجتماعية والاقتصادية وحتى ثقافية... لذا فان التحليل السوسيولوجي يرصد تلك الظاهرة كنتاج لتحول او اندماج مجموعة من العوامل التكوينية او المتغيرات المختلفة المؤثرة والفاعلة في تشكيل الفعل الإرهابي كظاهرة اجتماعية ذات جذور سياسية تتضمن العنف وتلتصق باشكال النظم السياسية المختلفة وتعبر عن توتر يصيب اطراف المعادلة السياسية متمثلة في الدولة من حيث جذورها التاريخية وسلطتها السياسية او شرعيتها فإذا كانت الجريمة العادية في المجتمع اليومي تشكل تعبيراً عن واقع اجتماعي مأزوم ومختل في جانب كبير من بناءاته فان الجريمة المنظمة \_ والإرهاب أحد أشكالها \_ يمثل ازمة وفوضى النظام السياسي برمته فتجعل منه كياناً معزولاً عن الجسد الاجتماعي الكلي والعالم. . وهكذا فان ازمة الارهاب ناجمة بعد التحليل الدقيق عن علاقات تاريخية مشوه وقوى سياسية طارئة على الصراع الاجتماعي وايدولوجية سياسية عاجزة عن استيعاب القوى الفاعلة والاستجابة لمطالبها دون اللجوء الى استخدام العنف... هذا العجز الذي يصيب ايدولوجية الدولة " واطرها وحدود قدرتها على خلق التماسك داخل المجتمع ، وتعميق الاحساس لدى اغلب المواطنين بحد ادنى من الولاء والانتماء المشترك... اضافة الى فقدان الانظمة السياسية لقدرتها على انجاز المهام الملقاة على عاتقه وخاصة تلك المتعلقة بالتنمية وتحقيق العدالة الاجتماعية وصيانة الاستقلال السياسي ". . ان اخفاق النظام السياسي في تأسيس ما يسمى " بشرعية الانجاز " غالباً ما يؤدي الى ردود فعل عنيفة من قبل الافراد والجماعات داخل المجتمع ما يجعل امامهم طريق الارهاب سالكاً... وهذا بالتحديد ما يجعل من الارهاب قضية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بنظام سياسي وتأريخ السلطة وخصوصية الدولة التاريخية وشرعية الانظمة السياسية واشكال علاقتها بالمجتمع. .

وهذا ما يجعل ايضاً من الارهاب شكلاً منظماً ومنتسماً لنماذج العنف السياسي اذ تؤكد اغلب المصادر الحديثة ان العنف السياسي وشدته تعتبران مؤشراً لاداء النظم السياسية وفعاليتها وان انتشار وتزايد حدة العنف السياسي الرسمي وغير الرسمي يعد الوجه الاخر لازمة الشرعية التي تعاني منها العديد من النظم السياسي في بلدان العالم الثالث " ان الدولة في اغلب مجتمعات العالم الثالث لا تواجه مثل تلك المشاكل بل تكتفي بأنتاجها و غالباً ما تؤجل مواجهتها او تتعامل معها بصيغ جزئية او شكلية الامر الذي يؤدي الى تعقدها وتجذرها وزيادة مخاطرها ودرجة حدتها مع مرور الزمن ... ويؤكد الدكتور ادورد عازار ان وضعية العنف السياسي \_ الهيكلية هي التي تؤدي الى وجود صراعات اجتماعية ممتدة \_ او ارهاب \_ تضرب بجذورها في البناء الاجتماعي والتكوين الثقافي للمجتمعات وتتسم بتعدد المشاركين فيها ثم تتفرع وتتشعب القضايا المرتبطة بها وتداخل ابعادها الداخلية والخارجية. كما انها تتميز باستمرارية حالة من العداة والتوتر الذي ينفجر في شكل ازمات حادة واعمال عنف مسلحة حتى لا يبدو ان هناك نقطة او نقاطاً محددة لانتهاء الصراع بشقيه الخارجي والداخلي ... والا تتوقف حالة العنف والصراع الهيكلية على الاختلالات الكامنة في البناء الاجتماعي داخل الدولة والمجتمع وحسب، بل تشمل اختلال وتصعد العلاقات الدولية ذاتها ...

لقد كان لسلطة الدولة التعسفية الكلمة الأخيرة في تشكيل الواقع الاجتماعي العربي. .!؟ فليس ثمة دولة برجوازية أو طبقة برجوازية مالكة لوسائل الإنتاج أو علاقات إنتاج بالمفهوم الحقيقي للكلمة في العالم العربي الذي مازال يراوح في مكانه منذ عدة قرون في المرحلة الزراعية أو الإقطاعية أو في توليفة غريبة تتداخل فيها " القبيلة في الغنيمة في العقيدة " كما يرى الجابري في تحليله لواقع المجتمع العربي السياسي " الجابري، العقل السياسي، ص305 "

إن المجتمع العربي مازال عرضة لانتهاك القبيلة والطائفة والفرد بل أن الأزمة الحقيقية للمجتمع المدني في المجتمع العربي تتمثل في هيمنة (الجماعة) على المجتمع والفرد ومقدرا تهم

كان عام 1990 نقطة البداية للدراسات العربية في المؤسسة الثقافية العربية تحت ضغط انهيار وتخلف أو سقوط المجتمع العربي برمته وفي مؤتمر القاهرة تحديدا والذي عقد حول ( انطونيو غرامشي وقضايا المجتمع المدني ) ثم مؤتمر بيروت ( حول المجتمع المدني في الوطن العربي ) عام 1992 ثم كتابات قليلة ونادرة جدا مثل الدكتور برهان غليون في عام 2001 حيث أشار إلى (أن المجتمعات العربية قد خسرت الرهان على الدولة ولم تنجح في بناء مجتمع مدني قوي وهذا هو وضع البلاد العربية والبلاد النامية )

بينما يشير فيصل دراج ( أن مكان وزمان الهزيمة العربية تحددان ويتحددان يوميا في شكل الحياة اليومية في الفراق القائم أبدا بين السلطة السياسية والمواطن العربي الذي تمثله السلطة غصبا واغتصابا... أن آلة القمع السياسية تهزم الإنسان والمواطن منذ البداية حتى النهاية. )

إذا هل من الممكن إيجاد مجتمع اكثر تحررا وعلى توافق اكبر بين حرية الفرد وحرية المجموع واتساق اكبر بين مسؤولية الحكم أو المقرر ومسؤولية المحكوم أو المطبق؟ هذه هي كل أسئلة المستقبل عند الدكتور غليون ...

إن المجتمع المدني نتاج تطور المجتمعات الإنسانية وليس هو تحولا حتميا لبناءات المجتمعات التقليدية وهو نتاج لتطور العديد من المفاهيم مثل ( المواطنة والديمقراطية والدولة والقانون كما انه نتاج تطور الإنسان ذاته) قبل كل شيء فالإنسان القبلي، الجاهلي، العنصري لا يمكن أن يصنع مدنية إلا إذا قرر بناء نفسه من جديد

أذن ثمة أزمة وجودية يغرق فيها المجتمع المدني في العالم العربي ناتجة عن " هيمنة الدولة والحاكم ( إن صح التعبير ) على المجتمع هيمنة مطلقة وتهميش دور الشعب "

والبحث في الأزمة يجب أن يكون بحثاً في ممارسة الدولة ( القبليّة ) التعسفية للسلطة في العالم العربي التي سلبت حق المجتمع والفرد ...؟! وإذا كان المشروع المدني العربي مازال يئن تحت سيطرة الموروث القبلي و الديني ( ولما كانت البنية الاجتماعية والاقتصادية العربية، تعطينا صورة واضحة عن الاستحالة التاريخية لتحقيق مشروعها الحضاري باعتبار أن الطبقة العربية الحاكمة ليست بطبقة اقتصادية ولا هي بمنتجة، بل هي طبقة من النمط الكمبرادوري ... تعاني من التبعية الكاملة والرجعية السياسية ... فإن المجتمع

المدني لا يزال طفلاً رضيعاً، يحبو على ارض غير أرضه وتحكمه المؤسسة الدينية، المتكلسة في بنية المجتمع التقليدي المتأخر تاريخياً التي تحكمها الطاعة العمياء للفقهي والسياسي، والتي تستثمرها الانظمة السياسية ذات الطبيعة الشمولية ... وتحكمها في ظل غياب الشرعية المدنية السياسية، والمجتمعية، والثقافية، للمجتمع المدني الحديث ... )

فكيف يمكننا تصور إمكانية بناء مجتمع مدني مستقبلي في العراق...؟

الحقيقة انه لا يمكن فهم الحقبة البعثية في العراق آلا كنتاج طبيعي لواحدة من ايدولوجيات العنف التي تملئ العالم بأحجام ومقاييس كثيرة شرع لها منذ أزمنة بعيدة ميكافيلي في كتابه الأمير ثم اقراها هتلر أو موسوليني اوستالين أو زمرة البعثيين في العراق ولا يمكن توقف التاريخ عند هذه الأسماء فمازال هناك متسعاً للموت والعنف والدم في العالم هذا ...

أن المجتمع السياسي و المجتمع المدني وحتى ايدولوجيات العنف ذاتها . كلها مفاهيم تستند سوسيولوجياً في جوانب كبيرة منها إلى مركب العلاقة الجدلية التي تجمع (الفرد × المجتمع ) فبينما يسعى الفرد جاهداً إلى التفرد والانطلاق خارج الطوق الجمعي . . يحاول المجتمع التوازن في سحق الفرد وأذابته في الكل الاجتماعي ... هذه العلاقة الجدلية ( الفرد × المجتمع ) لقد استمدت كل ايدولوجيات العنف في العالم طاقتها وجنوحها من جنون هذه العلاقة وفقدانها لتوازنها الداخلي والمعادلة مستمرة ... ورغم أن شخصية الفرد تنتج اجتماعياً لكن بالمقابل ثمة انقلابات اجتماعية رهيبه يصنعها الفرد في الجسد الاجتماعي

ويقف وراءها محاولاً أي (الفرد) نفس المجتمع شكلاً ومضموناً معتقداً إن تلك نقطة النهاية بالنسبة للجميع – وهنا تحديداً تولد فكرة العنف " الدكتاتورية " لكن سرعان ما يكتشف الفرد أبدية وقدسية المجتمع ولا محدوديته وكما ان (الفرد هو مضمون المجتمع ، والمجتمع هو شكل الوجود البشري للفرد... .بمعنى ان كل طرف منهما متضمن بهذا القدر او ذاك ، في الاخر ... منذ ظهور المجتمعات او الجماعات البشرية والمجتمع يحقق نفسه على حساب تحقيق الفرد لذاته ..... وهذا يؤكد ما ذهبنا إليه من علاقة الفرد بالمجتمع ليس علاقة ميكانيكية لأفراد لا يهم كم عددهم بل هو كل (جدلي) معقد متفاعل متداخل و نوعي والاهم من كل هذا – هو انه بناءً تاريخياً وتلك النقطة التي يجب ان يولد أو يموت عندها (المجتمع المدني). . في أي مكان من العالم ....

إن تفعيل المجتمع المدني في الدولة أو الحكم السياسي في العالم أو المجتمع العربي أو العراقي ليس هو إنتاج وتحرير لمفهوم الفرد المواطن مقابل مفهوم الفرد التابع أو الرعية ) كما يرى الدكتور غليوم ... بل هو بناء وإعادة بناء مفهوم جديد للفرد وعلاقته بالمجتمع كإنسان مدني ...

ومن هنا يجب ملاحظة ان ما حدث في العراق هذا الانقلاب الكبير الذي اصاب الجسد الاجتماعي العراقي والتدمير الذي تعرض له رأس العنف السياسي فيه رغم انه إنجازاً تاريخياً لا انه سيشحن المعادلة ويؤطر أطرافها بالعنف من جديد ، فهو يسند طرف العنف ويمد القوة الطائشة فيه ويفعله من جديد .

هنالك ثمة ملاحظات لا بد منها لبناء مجتمع مدني في العراق تبدأ

اولاً: بإعادة بناء \_ أُلنا \_ في الشخصية العراقية بعد التخريب الذي مارسه النظام السابق لكل قطاعات شخصية الإنسان العراقي . وتحديداً شخصية المرأة العراقية

ثانياً: إعادة بناء علاقة الإنسان العراقي – العراقي واعادة علاقة الرجل بالمرأة وفق اسس جديدة مدنية وليست عشائرية او دينية "سلفية" تجاوزا لما زرع من طائفية واثنية وعنصرية في مضمون هذه العلاقة من قبل النظام القبور ...

ثالثاً: إعادة بناء علاقة المواطنة الحقيقية من جديد ونقصد علاقة المواطن العراقي بالوطن بالقضاء على كل مظاهر التغريب والتغيبب المتعمد لكل منهما في الآخر .

واخيرا إعادة بناء علاقة الإنسان العراقي –بالآخر ونبذ مشاعر الدونية وعقدة الجذور والتفوق والانفتاح الكامل على العالم الاخر من غير عقد وشعور بالدونية ... ولا بد هذا التغيير الشمولي لهذه المحاور سيعيد ذاتيا تشكيل العلاقة من جديد بين الفرد والمجتمع وسيؤدي بالضرورة الى تنشيط المجتمع المدني والخروج على استبداد وتسلط الدولة والحد من هيمنتها على الانسان والمجتمع في العراق. ...

وللإرهاب اشكال كثيرة ومختلفة فإذا مارست جماعة معينة او افراد اخرين الارهاب داخل الدولة ضد النظام السياسي القائم بقصد اضعافه او الاطاحه به \_ ضد الدولة. يكون ارهاباً محلياً، وعندما يكون الارهاب اداة من ادوات النظام السياسي نفسه للبقاء في السلطة. . فيمارس من قبل الدولة واجهزتها ضد بعض الجماعات المعارضه بقصد تحجيم دورها وتصفيتها فيكون ارهاباً مؤسسياً او يسمى " ارهاب الدولة " والعراق الانموذج الاكثر تفرداً لهذا الشكل من الارهاب وبعده ليبيا وسوريا وموريتانيا والسودان الخ ... وقد يمارس الارهاب من قبل عصابات الجريمة المنظمة Mafia التي تمارس أعمالاً إرهابية كما هو الحال في روسيا و أمريكا اللاتينية وأفغانستان سابقاً ويوغسلافيا وأمريكا وإيطاليا .... او يمارس أحيانا باسم الدين بأهداف سياسية او قومية او عنصرية أو بدوافع مذهبية أو طائفية ضيقة أو للأغراض السياسية من شخص أو أشخاص أو جماعة أو حزب كما حدث في لبنان او الجزائر او ايران الخ....

وعندما يمارس الارهاب خارج دولة ما عبر حدودها مع الدول الاخرى او منظمات معينة او ضد رعاياها فيسمى بالارهاب الدولي. . ونموذج ذلك الارهاب الصادر عن القاعدة وافغانستان سابقاً. والذي راح ضحيته مئات من السكان المدنيين الأبرياء الذين لا صلة لهم بالصراعات السياسية وكذلك في الجزائر وأفغانستان و السودان والعراق وتركيا والشيشان وروسيا

\* تعديل كافة المناهج الدراسية " علمية وإنسانية وتعليم الطلبة مبادئ حقوق الإنسان في كافة المراحل الدراسية الأساسية وأسس الحوار الحر و غرس روح التسامح و المحبة والتعاون والقيم الإنسانية النبيلة في شخصية الطالب في المدرسة وتعليمه احترام الحرية الدينية والفكرية ونبذ كل اشكال التعصب والتطرف والعنف وتوظيف وسائل الإعلام نحو هذا الهدف لمنع الإرهاب والحد من الجرائم الإرهابية وتضييق مجالاتها مع تفعيل دور القانون و المؤسسات المدنية في المجتمع و إشاعة الحرية في التفكير والحوار و احترام حق الإنسان فيه ...

\* ضرورة تعاون المجتمع الدولي ( دوليا واقليمياً ) للوقوف ضد إرهاب الدولة الذي تمارسه اغلب الأنظمة الدكتاتورية في الشرق الاوسط... والتي لا تحترم مطلقا الإنسان ولا حقوقه الدستورية. . لتدفع به في النهاية الى تبني ايديولوجية تؤمن بالعنف والارهاب وبالتالي الى الفعل الارهابي .....

\* معالجة مشكلات الفقر و البطالة بصورة علمية وضمن الحد الأدنى من وسائل العيش للإنسان في الضمان المعيشي والصحي والثقافي.

\* إقامة أسس المجتمع المدني فوراً وتجذير المضمون قبل الشكل في الحكم الديمقراطي وحكم الأغلبية من خلال المؤسسات المدنية و تأسيس دولة القانون بخضوع الحكام والمحكومين له سواسية و دون استثناءات وفقا لقواعد العدل في العراق الجديد. ..

## المراجع: References

• الارهاب: تحليل سوسيولوجي لاشكال العنف السياسي: علاء جواد كاظم "بحث  
اكاديمي، منشورص12 – جامعة القادسية

• الارهاب: مصدر سابق ص22

• د: محمد الجابري \_ العقل السياسي العربي محدداته وتجلياته \_ مركز دراسات الوحدة  
العربية، ص18

• محمد الجابري \_ مصدر سابق، المقدمة

• الدكتور حلیم بركات \_ المجتمع العربي في القرن العشرين بحث في تغير الاحوال  
والعلاقات- مركز دراسات الوحدة العربية

• الدكتور برهان غليوم ( نشأة مفهوم المجتمع المدني وتطوره من المفهوم المجرد الى المنظومة  
الاجتماعية الدولية) مقالة.

• الدكتور فيصل السعد، مدخل منهج للفعل السوسيولوجي(ديالكتيك المجتمع والفرد)مجلة  
النهج، 2002 ص68

• د: حسنين توفيق ابراهيم \_ ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية: بيروت \_ مركز دراسات الوحدة العربية  
\_ اطروحة دكتوراه

• جان بودريار وجاك دريدا \_ ذهنية الارهاب \_ لماذا يقاتلون بموتهم \_ اعداد وترجمة بسام حجار \_ الدار  
البيضاء ص78

• ادوارد عازار \_ الصراع الاجتماعي المتمد والنظام الدولي \_ ترجمة حمدي عبد الرحمن \_ في المجلة  
الدراسات الدولية \_

السنة 1 العدد 2 ص82

د: احمد عصام مليجي \_ جرائم العنف الارهابي \_ دراسة تحليلية لعواملها واساليب مكافحتها \_ المجلة  
الجنائية القومية

\_ مصر \_ العدد 2 مجلد 28 1985

• استراتيجيات مكافحة الجريمة في الوطن العربي \_ مقالة \_ مجلة دراسات اجتماعية \_ بغداد \_ العدد 1 \_  
السنة 1\_ 1999

• علاء جواد كاظم: اوهام المجتمع المدني في العراق: دراسة نشرت في جريد المدى العدد 132 صفحة مجتمع  
مدني

عن مجلة الجندول مجلة ثقافية عامة مستقلة شهرية العدد 15 – 16 السنة الثانية  
2005